**Ain shams university**
**Faculity of Arts**
**Department of History**

# The trade of al hijaz

**From the delegation of the prophet to 41 H \ 610 – 661 AD .**

A thesis Submitted to :

Faculty of Arts of Ain Shams University

For Master degree in Islamic history

BY :

**Abdullh Hafez alhaj Abdullh**

Under Supervision of :

**Dr. AbdulMohsen Taha Ramadan.** — **assistant professor of Islamic history**

**Dr.khaled Hussein Mahmod.** — **Islamic history teacher**

**Cairo**

**1430 H \ 2009 AD .**

**كلية الآداب**

**إدارة الدراسات العليا**

**اسم الطالب : عبد الله حافظ الحاج عبد الله**

**الدرجة العلمية : ماجستير في التاريخ الإسلامي**

**القسم : التاريخ**

**الكلية : الآداب**

**الجامعة : عين شمس**

**سنة التخرج : ٢٠٠٣ م ، كلية الآداب ، جامعة حلب**

**سنة المنح : ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .**

**كلية الآداب**

**إدارة الدراسات العليا**

# رسالة ماجستير

**اسم الباحث : عبد الله حافظ الحاج عبد الله**

**عنوان الرسالة : تجارة الحجاز في صدر الإسلام من البعثة النبوية إلى ٤١ هـ / ٦١٠ ـ ٦٦١ م .**

**لجنة الإشراف والحكم :**

**الأستاذ الدكتور عبد المحسن طه رمضان** **مشرفاً**

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد في كلية الآداب . جامعة عين شمس

**الأستاذ الدكتور فتحي عبد الفتاح أبو سيف** **رئيساً وعضواً**

أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب . جامعة عين شمس

**الأستاذ الدكتور عفيفي محمود إبراهيم** **عضواً**

أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب . جامعة بنها

**تاريخ مناقشة الرسالة / /**

## الدراسات العليا

**ختم الإجازة** **أجيزت الرسالة بتاريخ**

/ / / /

**موافقة مجلس الكلية** **موافقة مجلس الجامعة**

/ / / /

# شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور **عبد المحسن طه رمضان** أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة عين شمس الذي أشرف على هذه الرسالة ومنحني الكثير من وقته ، وأحاطني بالرعاية والتوجيه العلمي ، وقدم لي النصح والتوجيه والإرشاد ، وتحمل الكثير من المتاعب في سبيل المراجعة المتأنية للرسالة وتقويمها بثاقب رأيه ؛ فجزاه الله عني كل خير وأمده بوافر الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر والعرفان للسيد الدكتور **خالد حسين محمود** الذي شرفني أيضاً بالإشراف على هذه الرسالة والذي كان أخاً قبل أن يكون معلماً، والذي لم يبخل عليَّ بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة ، فجزاه الله عني كل خير وزاده من علمه وفضله.

وأتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور **فتحي عبد الفتاح أبو سيف** أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب جامعة عين شمس، الذي احتضننا منذ أن وطئنا أرض مصر فكان أباً عطوفاً رحيماً، والذي تتلمذت على يديه ونهلت من فيض علمه الشيء الكثير فجزاه الله كل خير وأمده بوافر الصحة والعافية . والأستاذ الدكتور **عفيفي محمود إبراهيم** أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب جامعة بنها الذي شرفني بقبول مناقشة هذه الرسالة فجزاه الله عني كل خير وأمده بوافر الصحة والعافية .

كما أتوجه بالشكر إلى **أعضاء هيئة التدريس** في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عين شمس الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وكرمهم فجزاهم الله كل خير .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الدكتورة **شكران خربوطلي** أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة دمشق والدكتور **أجفان الصغير** رئيس قسم التاريخ في جامعة حلب اللذَيْنِ قدما لي الكثير من المساعدة والنصح والتوجيه فجزاهم الله كل خير وأمدهم بوافر الصحة والعافية .

# إهداء

إلى رمز العطاء ونبع الحنان أبي و أمي حفظهما الله ورعاهما

إلى من وقفتْ إلى جانبي وكانت لي سنداً وعوناً زوجتي العزيزة

إلى من ذاق طعم الغربة منذ نعومة أظفاره ابني الحبيب محمد

إلى من عشت بينهم وتعلمت منهم الإخلاص والوفاء إخوتي وأخواتي

إلى من أمدوني بالأمل وحملوا لي الحب أعمامي وأخوالي وأبنائهم

إلى باني الأجيال عمي الحبيب الأستاذ عبد المجيد وزوجته وأبنائهم

إلى رفاق دربي أصدقائي وأحبَّائي في سورية و مصر

# بسم الله الرحمن الرحيم

چ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ

سورة النساء ، الآية ٢٩ .

چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ

سورة الجمعة ، الآية ١١ .

صدق الله العظيم

**قال رسول الله ρ : { تسعة أعشار الرزق في التجارة }**

**صـــدق رســـول الله**

**أولاً : مفهوم التجارة :**

التجارة لغةً : من تَجَرَ يَتْجُرُ تَجْراً وتِجارةً أي باع واشترى ، وكذلك اتَّجَرَ[١] . وقد غلب هذا الاسم عند العرب على الخمَّار . أي تاجر الخمر . وفي هذا قال الأسود بن يعفر النهشلي [٢] :

وَلقد أروُح عَلى التّجار مُرَجِّلاً  مَذِلاً بِمالي لَيِّناً أَجيادي[٣]

أي مائل العنق من السُكْر .

أما اصطلاحاً : فقد عرَّفها ابن خلدون بأنها : " محاولة الكسبِ بتنميةِ المال بشراء السِلَعِ بالرخص وبيعها بالغلاء ، أياً ما كانت السلعةُ من دقيقٍ أو زرعٍ أو حيوانٍ أو قماش . وذلك القدر النامِي يُسمَّى ربحاً ، فالمُحاوِلْ لذلك الربح إما أن يَخْتَزِنَ السلعةَ ويتحيَّنَ بها حِوالةَ الأسواق من الرخص والغلاء ، فيعظم ربحُه ، وإما أن ينقلَه إلى بلدٍ آخر تَنْفُقُ فيه تلك السلعةُ أكثرُ من بلده الذي اشتراها فيه ، فيعظم ربحُه ؛ ولذلك قال بعض الشيوخ من التجَّار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة : أنا أعلمها لك في كلمتين : اشترِ الرخيصَ وبع الغالي ، وقد حصلت التجارة " [٤].

ولا تقتصر التجارة على التاجر فقط ، فهي ليست عمل الوسطاء وحدهم ، بل يشترك فيها المزارع عندما يبيع إنتاجه والصانع عندما يبيع مصنوعاته التي صنعها ، ويقوم كلٌ من التاجرِ والزارعِ والصانع ، بعملياتِ تبادلٍ تتكررُ أو تتباعدُ على مدارِ السنة ؛ وهكذا يشتركون جميعاً في العمل التجاري ، لكن التاجر يتميَّز بتخصصه وقيامه بعمليات متتالية عبر الأسواق وهو لا ينتج ، بل يتوسط بين المنتج والشاري [٥] .

---

١ ـ ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبدا لله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، د ـ ت ، مجلد١ ، ج٦ ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

٢ ـ الأسود بن يعفر : شاعر من تميم أدرك الجاهلية والإسلام ولم يسلم ، عُرف بلقب أعشى بني نهشل . ( ابن ماكولا : الإكمال ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ ، ج٧ ، ص ٣٣٦ ).

٣ ـ أبو منصور الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م ، ج١٤ ، ص ٣١٣ .

٤ ـ مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للمطابع ، القاهرة ٢٠٠٦ م ، ج٢ ، ص ٨٤٩ .

٥ ـ إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، منشورات إفريقية ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٩٦م ، ص ١١٧ .

**ثانياً : جغرافية الحجاز :**

تتميَّز شبه الجزيرة العربية بموقع استراتيجيّ هام ميَّزها عن غيرها من الأقاليم ، بحكم توسطها بين أعظم الدول وأقدم الحضارات كبلاد فارس و الروم ومصر والحبشة [١] ، إضافة إلى أهميتها الاقتصادية وذلك لكثرة خيراتها وتوفُّر موادٍ كان الطلبُ عليها كبيراً ، كاللبان والمر والبلسم وغيره من المنتجات ، وكثرة خيراتها الباطنية لاسيما الثروة المعدنية [٢].

وقد قَّسم الهمذاني شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام ، معتمداً في ذلك على أشعار العرب هي : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن [٣] . وتعد الحجاز وهي المنطقةُ الغربيةُ ، أهم مناطق شبه الجزيرة العربية على الإطلاق لاسيَّما من الناحية الدينية ، إذ تضم مدينتي مكة المكرمة أقدس مدينة عند المسلمين ومهد الرسالة المحمدية والمدينة المنورة مكان هجرة المسلمين وعاصمة الدولة الإسلامية الأولى [٤] ؛ وتمتاز هذه المنطقة بأهمية اقتصادية كبيرة ، إذ يخترقها أحد الطريقين الرئيسيين اللذين يربطان بين مدن الشام والعراق ومصر من جهة ، وبين مدن اليمن والمناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية من جهةٍ أخرى[٥] . لذلك اعتبره ( الحجاز ) بعض الجغرافيين واحداً من أقاليم الأرض السبعة ، إذ يقول القزويني : " اعلم أن الأرض من مشرقها إلى مغربها سبعة أقاليم ، منها سبعمائة فرسخ عامر : فالأول إقليم الهند ، والثاني **إقليم الحجاز** ، والثالث إقليم البصرة ، والرابع : إقليم العراق والشام إلى نهر بلخ ، والخامس الروم ونواحي أرمينية ، والسادس يأجوج ومأجوج ، والسابع نواحي الصين والترك " [٦] .

والحجاز في اللغة الحد الفاصل ، أو الفاصل بين شيئين [٧] ؛ وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون واللغويون العرب اختلافاً كبيراً في سبب تسمية إقليم الحجاز بهذا الاسم ، فيرى

---

١ ـ عباس المهاجر : أسواق مكة والمدينة ، مجلة ميقات الحج ، العدد الأول ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٥ .
٢ ـ نورة عبد الله النعيم : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي ، ط١ ، دار الشواف ، الرياض ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٢٠٤ .
٣ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٨٥ .
٤ ـ منصور عبد الحكيم : بلاد الحجاز معقل الإيمان في آخر الزمان والوعد الحق ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، دمشق ٢٠٠٦ م ، ص ١٢.
٥ ـ أحمد الشامي : في تاريخ العرب والإسلام ، ط٣ ، مكتبة الأنكلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٨٧ .
٦ ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٦٨ .
٧ ـ ابن منظور : المصدر السابق ، مجلد٢ ، ج٩ ، ص ٧٨٥ .

البعض أنه سمي حجازاً لأنه حَجَزَ بين تهامة ونجد [١] ، ويرى البعض الآخر أنه سمي حجازاً لأن الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد [٢] ، والبعض الآخر لأنه احتُجِز بالجبال [٣] ؛ كما أنهم اختلفوا في حدوده وامتداده أيضاً ، حتى قال أحدهم : " واختلفوا في حدوده اختلافاً كثيراً كادت الأقوال تضطرب و يصادم بعضها بعضاً "[٤] ؛ فمن قائل : إن إقليم الحجاز يمتد من اليمن جنوباً إلى بادية الشام شمالاً ، ومن نجد شرقاً إلى تهامة غرباً [٥]، وهناك مَنْ يقول : إنه يمتد من أيلة[٦] الحد الشمالي للحجاز إلى نجران الحد الجنوبي له ، ومن معدن النقرة[٧] شرقاً إلى المدينة غرباً[٨] .

أما الحجاز في رأي الباحثين المُحْدَثِين فهو حجازان : الأول حجاز المدينة ، وهو ما حجزته الحرار التي تمتد من الجنوب إلى الشمال من مكة إلى المدينة فتبوك . و الثاني الحجاز الأسود وهو

---

١ ـ الفاكهي : أخبار مكة ، تحقيق عبد الملك عبد الله دهبش ، ط٢ ، دار خضر ، بيروت ١٤١٤ هـ ، ج٣ ، ص ٣٩ . انظر أيضاً البكري : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣ هـ ، ج٣ ، ص ٨٠٥ . انظر أيضاً ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ج٢ ، ص ٦٣ .

٢ ـ أبو منصور الأزهري : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧٦ . انظر أيضاً ابن منظور : المصدر السابق ، مجلد٢ ، ج٩ ، ص ٧٨٦ ـ ٧٨٧ .

٣ ـ الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج٢ ، ص ١٠٩ . انظر أيضاً المقري الفيومي : المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د ـ ت ، ج١ ، ص ١٢٢ .

٤ ـ عبد الله الوهيبي : الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، مجلة كلية الآداب ، الرياض ، السنة الأولى ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، مجلد ١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

٥ ـ الهمذاني : المصدر السابق ، ص ٨٥ . انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٧ . انظر أيضاً الحميري : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ١٦٤ .

٦ ـ أيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام ، وهي مدينة عامرة يكثر فيها الزرع . تعرف اليوم بالعقبة أو إيلات ( ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٢ ) .

٧ ـ معدن النقرة : وهي منزل من منازل حجاج البصرة والكوفة ، تكثر فيها الآبار والبرك ، تبعد عن المدينة أكثر من أربعين ميلاً إلى الشرق . ( الإدريسي : نزهة المشتاق ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ج١ ، ص ١٣٦ . انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ . )

٨ ـ البلاذري : البلدان وفتوحها وأحكامها ، تحقيق أيمن محمد عرفة ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د ـ ت ، ص ١٣٩ . انظر أيضاً عرَّام السلمي : أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ ، مطبعة أمين عبد الرحمن ، القاهرة ١٣٧٣ هـ ، ص ٥٢ . انظر أيضاً الحميري : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

ما حجزته الجبال والذي يمتد من حدود اليمن جنوباً إلى الطائف شمالاً [١]، وتمتاز هذه السلاسل بالارتفاع وتصل إلى ٢٥٠٠ م بالقرب من مكة[٢].

مما سبق يتبين أن معظم هذه الآراء وهذه الاختلافات ناتجة عن تأثُّر الجغرافيين بالأمور السياسية ، فكانت معظمها قائمة على أساس إداري لا جغرافي ، وقد أدى هذا الاختلاف في تحديد امتداد الحجاز إلى الاختلاف في تحديد المدن التي يضمها ، ومع ذلك فإن معظم الجغرافيين والمؤرخين يرون أن أهم ما يضمه الحجاز من مدن هي : مكة والمدينة والطائف ومخاليفها .

وسنشير هنا باختصار إلى جغرافية هذه المدن ومناخها ، بما يؤثر إيجاباً أو سلباً على تجارة سكان كل منها .

**أ . مكة المكرمة[٣] :**

وهي أهم المدن وأقدسها عند المسلمين ، تقع في وادٍ غير ذي زرع ، ينحصر بين شعاب الجبال ، كجبل أبي قبيس الذي يشرف على المسجد الحرام وجبل ثور وفاضح وغيره [٤] ، وهي منطقة جدباء شديدة الحرارة قال عنها المقدسي : " ويكون بالحرم حرٌ عظيم وريحٌ تقتل " [٥]، كما أنها قليلة المياه ، لا توجد فيها مياه جارية ، إلا تلك السيول التي تنهمر من الجبال عقب هطول الأمطار ، لذلك عمد أهلها إلى حفر الآبار لتأمين حاجتهم وحاجة الحجاج من الماء [٦] ؛ وقد كان هذا الشح والموقع المميز

---

١ ـ بكر بن عبد الله أبو زايد : خصائص جزيرة العرب ، ط٢ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ١٤٢٢ هـ ، ص ١٦ .

٢ ـ فتحي محمد أبو عيانة : دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٠م ، ص ٣٧ . انظر أيضاً فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ط٢ ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ١٣٨٨ هـ ، ص ١٧ .

٣ ـ مكة : اختُلِفَ في سبب تسميتها ، فقيل سميت بهذا الاسم لأنها تمك الجبابرة ومن ألحد فيها . ( أبو منصور الأزهري : المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٣٤٤ انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨١ ) . والبعض الآخر قال لأنها تمك الذنوب أي تمحيها ( البكري : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦٩ ) . وعرفت بأسماء عدة مثل بَكَّةَ ، أم القرى ، البيت العتيق ، ..... انظر سورة آل عمران ، الآية ٩٦ . الأنعام ، الآية ٩٢ الحج ، الآية ٢٩ .

٤ ـ اليعقوبي : البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٥٣ . انظر أيضاً الفاسي : الرحلة إلى الأراضي الحجازية ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ٣٥٧٨ / ج جغرافية .

٥ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٠ ، ج١ ، ص ١٠٥ .

٦ ـ الفاكهي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩٧ . انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٨٨ . انظر أيضاً السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢١٨ .

على طريق التجارة الواصل بين الشام واليمن هو السبب الرئيس في امتهان أهل مكة للتجارة ، واعتمادهم في معيشتهم وأقواتهم على ما يجلب إليهم من مدن ومناطق أخرى [١] . سكنتها قبيلة قريش ، وكانوا قسمين قريش البطاح وهي البطون التي تسكن مكة نفسها ، وكان منهم التجار والأغنياء مثل بني عبد مناف وعبد الدار ومخزوم وغيرهم ، وقريش الظواهر الذين سكنوا خارج مكة مثل بني محارب والحارث بن فهر وغيرهم[٢] .

**ب . يثرب[٣] ( المدينة المنورة ) :**

وهي المدينة الثانية بعد مكة في الحجاز ، تحيط بها الحرار من ثلاث جهات : حرة الوبرة من الغرب وواقم من الشرق وحرة قباء من الجنوب [٤]، وتمتاز بخصوبة أرضها ووفرة مياهها[٥] ، إذ تقع على عدة أودية تسيل بالمياه بعد تساقط المطر ، وأهمها وادي العقيق ووادي بطحان [٦] ، كما أنها تقع على الطريق التجاري المؤدي إلى الشام ، لذلك كان لموقعها التأثير الأكبر على تجارة قريش بعد هجرة المسلمين إليها[٧] . أما عن سكانها ، فقد سكنها العرب من الأوس والخزرج[٨] ، واليهود من بني

---

١ - Slimane Zeghidour : la vie qutidienne la Mecque de Mahomet a nos jours , paris , P 356 – 359.

٢ ـ ابن سعد : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧١ . انظر أيضاً الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٦٧ .انظر أيضاً أبا منصور الأزهري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

٣ ـ يثرب : تذكر المصادر أنها سميت بهذا الاسم نسبة ليثرب بن قانية بن مهليل بن إرم الذي نزل فيها فسميت باسمه . ( المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق مصطفى السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د ـ ت ، ج٢ ، ص ١٣٤ . وقد سميت بعد الإسلام بالمدينة ولها أسماء عدة طيبة وطابة والمسكينة والعذراء ... ( ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : علي محمد دندل وياسين بيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ج١ ، ص ١٠٤ . انظر أيضاً عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

٤ ـ البكري : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٨ . . انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٩ ـ ٢٥٠ .

٥ ـ ابن شبَّة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٦ ـ عماد علي طلبة عطية : الأوضاع السياسية والحضارية للقبائل الحجازية وتطورها من قبيل الإسلام إلى نهاية عصر النبوة ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ،جامعة أسيوط ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٠ .

٧ ـ الواقدي : المغازي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، ج١ ، ص ١٨٣ . انظر أيضاً أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ρ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٢٤١ .

٨ ـ الأوس والخزرج : هم أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو يصل نسبهم إلى الأزد بن الغوث هاجروا من اليمن بعد انهيار سد مأرب . ( ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٠٩ . انظر أيضاً ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ج٢ ، ص ٣٣٢ .

النضير وقينقاع وقريظة ، الذين كانت السيطرة الاقتصادية من زراعيةٍ وصناعيةٍ وتجاريةٍ في أغلب الأحيان بأيديهم ، إلى أن هاجر المسلمون إليها فأصبحت القوة العسكرية والاقتصادية بأيديهم ، حيث قاموا بإجلاء اليهود عنها في عهد الرسول الكريم ρ وأصبحت عاصمةً للدولة الإسلامية الأولى [١].

كانت الزراعة المهنة الأساسية لمعظم سكانها بحكم خصوبة أرضها ووفرة مياهها ، فزرعت فيها النخيل والحبوب والعنب والرمان والموز وغيره [٢]، وبالإضافة إلى الزراعة عمل بعض أهلها بالصناعة ، كصناعة الأدوات الزراعية والاحتياجات المنزلية وصناعة السيوف والدروع والصياغة لاسيما يهود بني قينقاع[٣] . وقد عمل بعضهم بالتجارة ، حيث اشتهرت بأسواقها كسوق بني قينقاع وزبالة والجسر وغيره[٤] ، ولم تقتصر تجارتهم على التجارة الداخلية وإنما توسعت لتشمل التجارة الخارجية خصوصاً مع الشام وأهل مكة .

**د . الطائف[٥] :**

وهي المدينة الثالثة في الحجاز من حيث الأهمية ، وهي إلى الجنوب الشرقي من مكة المكرمة ، وتقع على سفوح جبل غزوان[٦] ، وهي قسمان الأول على وادي وج ويسمى بطائف ثقيف ، والثاني على الجانب الآخر ويسمى الوهط [٧] ، وتمتاز الطائف بخصوبة أرضها ووفرة مياهها وطِيْبَةِ هوائها ، قال عنها المقدسي : " شامية الهواء باردة الماء " ، لذلك كانت مصيفاً لأهل مكة [٨] ؛ سكنتها قبيلة ثقيف إضافة إلى جماعة من حمير وقوم من قريش و هوازن ، وقد كان للجميع علاقات وطيدة مع مكة ، حيث كانت تمدها بما تحتاجه من مؤنٍ وسلع هم بحاجة إليها ، وبالمقابل كان لأهل مكة مشاريع زراعية في الطائف [٩] وهذا ما سوف نوضحه لاحقاً .

---

١ ـ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٥ .
٢ ـ أحمد الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
٣ ـ إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط١ ، مكتبة النافذة ، القاهرة ٢٠٠٦ م ، ص ٣٢ .
٤ ـ ابن شبة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٤ .
٥ ـ سميت بهذا الاسم نسبة لحصن يلف المدينة ( يطوف حولها ) بناه مسعود بن متعب الثقفي . ( ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩ . كانت تعرف قديماً باسم وج نسبة لواد فيها يدعى بهذا الاسم ( ابن عرَّاق : نشر اللطائف في قطر الطائف ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٣٣، تاريخ ، ص ٨ .
٦ ـ المقدسي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٢ . انظر أيضاً الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .
٧ ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩ .
٨ ـ أحسن التقاسيم ، ج١ ، ص ١٠١ .
٩ ـ الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٧٩ . انظر أيضاً عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

وقد ساعدت العوامل المناخية على قيام نشاط زراعي فيها ، فقد اشتهرت بزراعة العنب والرمان والتين ، إضافة إلى القمح ، كما أنها اشتهرت بعسلها لكثرة تربية النحل فيها ، إضافةً إلى شهرتها ببعض الصناعات لاسيما دباغة الجلود ، وبعض التجارات خصوصاً تجارة الزبيب والعسل والأديم [١] .

هذا عن مدن الحجاز ، أما عن أهم القرى فيأتي في مقدمتها خيبر التي تقع إلى الشمال من المدينة المنورة ، على الطريق المؤدي إلى الشام[٢] ، وتمتاز بخصوبة أرضها وكثرة مزارعها[٣] ، لذلك عُرفت بقرية الحجاز[٤]، سكنها اليهود ، كان عملهم الرئيس الزراعة والتجارة ، بحكم خصوبة الأرض ، وأهمية موقعها وسوقها وخبرة أهلها التجارية [٥] ؛ أقام اليهود فيها حتى أجلاهم عمر بن الخطاب ( ١٣ . ٢٣ هـ / ٦٣٤ . ٦٤٤ م ) عنها [٦] . وهناك قرى أخرى أقل أهمية ، مثل وادي القرى وفَدَكْ والحِجِر وغيرها والتي كانت في الغالب تعتمد على الإنتاج الزراعي [٧].

وتجدر الإشارة إلى أن جميع المدن والقرى المذكورة آنفاً كانت تتخللها الأودية التي كانت تسيل عقب هطول الأمطار ، والتي كان لها أثر كبير على التجارة . وهو ما سنفصله لاحقاً . ولعل أهم هذه الأودية وادي إضم ووادي الصفراء ووادي الرمة ووادي العقيق وغيرها ، وكلها شكلت المسالك الرئيسة للقوافل التجارية في فصل الصيف ، والممد الأساسي لها بالماء والغذاء[٨] .

**ثالثاً : تجارة الحجاز عشية ظهور الإسلام :**

نشأت التجارة في بلاد العرب نشأةً طبيعية تتوافق مع الحاجات البشرية ، حيث ازدهرت حركة القوافل التجارية في ظل الجو الصحراوي الجاف ، والجدب الزراعي الذي يغلب على معظم أراضيهم ؛ فقام العرب بتبادل السلع الفائضة من حاجاتهم من منتجات بيئتهم بأخرى يحتاجون إليها [٩] . ولقد

١ ـ المقدسي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ . انظر أيضاً عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٢ ـ خيبر : وتعني الحصن بلفظ اليهود ، إذ كانت تحوي على سبعة حصون ، مثل حصن ناعم وأبي الحقيق والنطاة ....( ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٠٩) .

٣ ـ البكري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٢١ ـ ٥٢٣ . انظر أيضاً ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤١٠ .

٤ ـ الواقدي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٢ . انظر أيضاً الكلاعي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٩٦ .

٥ ـ سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٢ ، دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

٦ ـ حسن كاظم الحسيني العملي : يهود الجزيرة العربية ، ط١ ، دار الهادي ، بيروت ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٧ ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢١ ، ج٤ ، ص ٢٣٨ ، ج٥ ، ص ٣٤٥ .

٨ ـ ابن شبة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ . انظر أيضاً عماد عطية : المرجع السابق ، ص ٧ ـ ٨ .

٩ ـ محمود عرفة محمود : العرب قبل الإسلام ( أحوالهم السياسية والدنية و أهم مظاهر حضارتهم ) ، دار الثقافة

لعب الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به شبه جزيرة العرب بين قارات العالم دوراً كبيراً في هذا المضمار ، حيث صارت سبيلاً للصلة بين الشرق والغرب ، كما هيأ لها إشرافها على سواحل بحر القلزم ( الأحمر ) غرباً ، وخليج فارس ( الخليج العربي ) شرقاً ، وبحر العرب جنوباً ، نشاطاً تجارياً مرموقاً لارتباطها بأفريقيا عن طريق سيناء والبحر الأحمر ، وإلى بلاد فارس عن طريق العراق وخليج فارس ، وإلى بلاد الروم عن طريق بلاد الشام وبحر الروم ( البحر المتوسط ) .

وقد اشتهرت مدن الحجاز بمكانتها التجارية المرموقة في شبه جزيرة العرب والمنطقة بعامة ، ويأتي على رأس هذه المدن مدينة مكة المكرمة التي حباها الله سبحانه وتعالى بالموقع المتميز عند ملتقى طرق التجارة الداخلية والخارجية ( الدولية ) ، إضافة إلى وجود البيت العتيق قبلة الحجيج ، فضلاً عن قيام زعماء قريش بتنظيم التجارة وترتيب قوافلها وتأمينها بعدد من العهود والمواثيق مع العشائر الضاربة على طرقها ، حيث عُرِفَ عنهم من بين عامة سكان الحجاز بأنهم مهرة في أمور التجارة فقد كانت مهنة معظمهم ، ومن لم يكن من قريش تاجراً فليس بشيء مقارنةً مع التجار[1] ، ولم يقتصر اهتمام أهل الحجاز على التجارة الداخلية فقط وإنما عملوا بالتجارة الخارجية أيضاً .

وعلى الرغم من اشتغال أهل يثرب بالزراعة . لوقوعها في منطقة خصبة تكثر فيها الوديان . إلا أنها شهدت حركة تجارية نشطة مرتبطة بالزراعة ومنتجاتها ، علاوة على بعض المصنوعات الجيدة مثل الصياغة والأدوات المنزلية وآلات الزراعة [2].

وتشير بعض الروايات إلى أن قريشاً كانت تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكة والمناطق القريبة منها ، وإنما يقْدُمُ عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها فيما بينهم ويبيعون لمن حولهم من العرب ، فكانت تجارتهم كذلكْ حتى ركب هاشم بن عبد مناف والد جد الرسول ρ فنزل بقيصر وقال له :" أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب ، فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمِّن تجارتَهم ، فيقْدموا عليك بما يُستطْرَفُ من أدَمِ الحجاز وثيابِه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخصُ عليكمْ

---

العربية ، القاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ ، ص ٣٢٨ . انظر أيضاً

L.A. Sedillot : histoire des Arabes ,Paris 1859 , p 25 -26 .

١ ـ الأصبهاني : دلائل النبوة ، تحقيق محمد محمد الحداد ، ط١ ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٩ هـ ، ج١ ، ص ١٧٨ . انظر أيضاً الكلاعي : الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق محمد كمال الدين ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٧هـ ، ج١ ، ص ١٥٣ .انظر أيضاً سعيد الأفغاني المرجع السابق، ص ١١٣ .

٢ ـ محمود عرفة محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

؛ فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم ، فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرَّ بحيٍّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً " [١].

ثم قام إخوة هاشم الثلاثة ( المطلب ونوفل وعبد شمس ) بالحصول على عقود أمانٍ من ملوك الحبشة واليمن وفارس مشابهة لتلك التي حصل عليها هاشم من قيصر . إذ اتصل المطلب بأقيال اليمن الحميريين وعقد معهم اتفاقاً يسمح للقرشيين بالتجارة مع اليمن على نطاق واسع [٢] . وبذلك بدأت تنمو تجارة مكة وتتوسع مع اليمن ، إلى أن سيطرت قوافلها التجارية بشكلٍ شبه تام على نقل منتجات اليمن وما يُجْلَبُ إليها إلى مكة ، خصوصاً في بداية القرن السادس الميلادي ، حيث كانت اليمن في حالة تدهورٍ نتيجةَ الصراعِ الداخليّ بسبب الخلاف الديني نتيجةً لانتشار اليهودية والمسيحية فيها والتنافس بين أتباع الديانتين ، ووقوعها في منطقة التصارع الدولي ، بين الدولتين الفارسية و البيزنطية ، وقد استخدمت بيزنطة الحبشة حليفَتها لإقرار النفوذ البيزنطي على جنوب بلاد العرب عن طريق غزو اليمن ؛ وتكررت غزوات الأحباش على اليمن حتى سقطت في يدها سنة ٥٢٥ م ، وقد استمر حكم الحبشة لليمن حتى أخرجهم منها الفرس حوالي سنة ٥٧٥ م وبذلك فقدت اليمن مركزها التجاري ، ولم تتحرر من الاحتلال الأجنبي إلا بظهور الإسلام وانضوائها تحت لوائه في عهد الرسول ρ [٣] .

وفي الوقت الذي اتصل فيه المطلب بأقيال اليمن اتصل أخوه عبد شمس بالنجاشي و أبرم معه اتفاقاً مماثلاً ؛ ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحبشة لتجار قريش وجهةً ومتجراً ، حيث كانت تحصل منها على سلعٍ هامة كالطيوب والعاج وغيره ، وتحمل إليها ما تحتاجه من حاصلات الشام ومصنوعاتها إضافة إلى حاصلات الجزيرة نفسها[٤] .

أما نوفل بن عبد مناف ، فقد أبرم عهداً مماثلاً مع كسرى للمتاجرة في بلاد الدولة الفارسية [٥]؛

---

١ ـ ابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشد أحمد فاروق ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٤١ ـ ٤٣ . انظر أيضاً : الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت ، ص ١١٥ ـ ١١٦ . انظر أيضاً الكلاعي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٧ .

٢ ـ ابن حبيب : المصدر السابق ، ص ٤٤ .انظر أيضاً الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨١ . انظر أيضاً أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

٣ ـ أحمد الشريف : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

٤ ـ الكلاعي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٧ .

٥ ـ القالي : الأمالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ج٣ ، ص ٢٠٥ . انظر أيضاً جواد علي : المفصَّل في تاريخ العرب ، ط٢ ، جامعة بغداد ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ج٧ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .